وكلما انضو الرجم وجرى الأوداج من حلق بدنه وغيره إلا الحسن والمعبر لما انقوم من نهي النبي صلى الله عليه وسلم
عن ذلك وهو قوله تعالى **وما ذبح على النصب** يعني وحرم ما ذبح على النصب والنصب يحتمل أن يكون
جمعا واحده نصاب وأن يكون واحدا وجمعه أنصاب وهو الشيء المنصوب قيل كان حول الكعبة ثلاث
مائة وستون حجرا منصوبة كان أهل الجاهلية يعبدونها ويعظمونها ويذبحون لها وليست هذه
الأصنام المنصوبة المنقوشة وقال ابن عباس هي الأصنام المنصوبة والمعنى وما ذبح على
اسم النصب أو لأجل النصب فهو حرام **وأن تستقسموا بالأزلام** يعني وحرم عليكم الاستقسام
بالأزلام وهو طلب القسم والحكم من الأزلام وهي القداح وكانت الأزلام سبعة قداح مستوية
مكتوب على واحد منها أمرني ربي وعلى واحد نهاني ربي وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم وعلى
واحد ملصق وعلى واحد العقل وعلى واحد غفل ليس عليه شيء وكانت العرب في الجاهلية إذا أرادوا
سفرا أو تجارة أو نكاحا أو اختلفوا في نسب أو أمر قتيل أو تحمل عقل أو غير ذلك من الأمور العظام
جاؤوا إلى هبل وكانت أعظم صنم لقريش بمكة وجاؤوا بمائة درهم وأعطوها صاحب هبل
القداح حتى يجيلها لهم فإن خرج أمرني ربي فعلوا ذلك الأمر وإن خرج نهاني ربي لم يفعلوه وإذا
حالوا على نسب فإن خرج منكم كان وسطا فيهم وإن خرج من غيركم كان حليفا فيهم وإن خرج ملصق
كان على حاله وإن اختلفوا في الدية العقل وهو الدية فمن خرج عليه قدح العقل تحمله وإن خرج
الغفل أجالوا ثانيا حتى يخرج المكتوب عليه فنهاهم الله عن ذلك وحرمه وسماه فسقا وقيل
الأزلام كعاب فارس والروم التي كانوا يتقامرون بها وقيل كانت الأزلام للعرب والكعاب للعجم وهي
النرد وكلها حرام لا يجوز اللعب بشيء منها عن قطن بن قبيصة عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت أخرجه أبو داود وقال الطرق الزجر والعيافة
الخط وقيل العيافة زجر الطير والطرق الضرب بالحصا والجبت كلما عبد من دون الله عز وجل وقيل
الجبت الكاهن وروى البغوي بسنده الثعلبي عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
تكهن أو استقسم بالأزلام أو تطير طيرة ترده عن سفر لم ينظر إلى الدرجات العلى يوم القيامة
وقوله تعالى **ذلكم فسق** يعني ما ذكر من هذه المحرمات في هذه الآية كلها معصية حرمها عليكم تناول
كلها أو كل واحد منه فسق والفسق ما يخرج من الحلال إلى الحرام وقيل إن الإشارة عائدة على الاستقسام
بالأزلام والأول أصح **اليوم يئس الذين كفروا من دينكم** يعني يئسوا أن ترجعوا عن دينكم
إلى دينهم كفارا وذلك أن الكفار كانوا يطمعون في أن يعود المسلمون إلى دينهم فلما قوي الإسلام
أيسوا من ذلك وذلك هو اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام حجة الوداع
فعلم ذلك يئس الكفار من بطلان دين الإسلام وقيل أن ذلك هو يوم عرفة فنزلت هذه الآية
والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة لم يرد يوما بعينه وإنما المعنى الآن يئس الذين كفروا
من دينكم كما تقول اليوم قد كبرت تريد الآن قد كبرت وتقول فلان كان يزورنا وهو اليوم يجفونا
لم ترد يوما بعينه يعني وهو الآن يجفونا ولم تقصد به اليوم قال الشاعر

فيوم علينا ويوم لنا ... ويوم نساء ويوم نسر

أراد فمرة علينا وزمان لنا ولم يقصد اليوم واحدا بعينه **فلا تخشوهم** ولا تخافوا الكفار أيها
المؤمنون الذين آمنوا أن يظهروا على دينكم فقد زال الخوف عنكم بإظهار دينكم **واخشون** أي
وخافوني إن خالفتم أمري وأخلصوا الخشية لي قوله عز وجل **اليوم أكملت لكم دينكم** نزلت هذه الآية
في يوم الجمعة بعد العصر في يوم عرفة والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء
فكادت عضد الناقة تندق وبركت لثقل الوحي وذلك في حجة الوداع سنة عشر من الهجرة وعاش
[illegible] وعن ابن شهاب قال جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها

لو علينا نزلت

قال

لو علينا أنزلت معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال أي آية قال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم
نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فقال عمر إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه والمكان الذي أنزلت فيه نزلت ٢٦٥
على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفات في يوم الجمعة أشار عمر إلى أن ذلك اليوم كان يوم عيد لنا
وعن ابن عباس أنه قرأ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا
وعنده يهودي فقال لو أنزلت هذه الآية علينا لاتخذناها عيدا فقال ابن عباس فإنها نزلت في يوم
عيدين في يوم جمعة ويوم عرفة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال ابن عباس كان في ذلك
اليوم خمسة أعياد يوم جمعة ويوم عرفة وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد المجوس ولم تجتمع
أعياد لأهل الملل في يوم واحد قبله ولا بعده وروي لما نزلت هذه الآية بكى عمر فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر قال أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا فأما إذا كمل فإنه لم يكمل
شيء إلا نقص قال صدقت فكانت هذه الآية نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش بعدها أحدا
وثمانين يوما ومات صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول وقيل لاثنتي عشرة
ليلة وهو الأصح سنة إحدى عشرة من الهجرة وأما تفسير الآية فقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم يعني
بالفرائض والسنن والحدود والأحكام والحلال والحرام ولم ينزل بعد هذه حلال ولا حرام ولا شيء من الفرائض
هذا معنى قول ابن عباس وقال سعيد بن جبير وقتادة معنى أكملت لكم دينكم حيث لم يحج معكم مشرك
فخلا الموسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين وقيل معناه أني أظهرت دينكم على الأديان
وأمنتكم من عدوكم بأن كفيتكم ما كنتم تخافونه وقيل إكمال الدين لهذه الأمة أنه لا يزول ولا ينسخ
وأن شريعتهم باقية إلى يوم القيامة وقيل إكمال الدين لهذه الأمة أنهم آمنوا بكل نبي وكل كتاب ولم يكن
هذا لغير هذه الأمة وقال الإمام فخر الدين اليوم أكملت شرائع الإسلام على غير نقصان كان قبل هذا الوقت
وذلك لأن الله تعالى كان يتعبد خلقه بالشيء في وقت ثم يزيد عليه في وقت آخر فيكون الوقت الأول تاما
في وقته وكذلك الوقت الثاني تاما في وقته فهو كما يقول القائل عندي عشرة كاملة ومعلوم أن العشرين
أكمل منها والشرائع التي تعبد الله عز وجل بها عباده في الأوقات المختلفة وكل شريعة منها كاملة
في وقت التعبد بها فكمل الله عز وجل الشرائع في اليوم الذي ذكر وهو يوم عرفة ولم يوجب ذلك
أن الدين كان ناقصا في وقت من الأوقات ونقل الإمام فخر الدين الرازي عن القفال واختاره أن الدين ما كان
ناقصا البتة بل كان أبدا كاملا كانت الشرائع النازلة من عند الله كافية في ذلك الوقت إلا أنه تعالى
كان عالما في أول وقت البعثة بأن ما هو كامل في هذا اليوم ليس بكامل في الغد ولا صالحا فيه فلا جرم كان
ينسخ بعد الثبوت وكان يزيد بعد العدم وأما في آخر زمان البعثة فأنزل الله شريعة كاملة وحكم
ببقائها إلى يوم القيامة فالشرع أبدا كان كاملا إلا أن الأول كمال إلى زمان مخصوص والثاني كمال
إلى يوم القيامة فلأجل هذا المعنى قال اليوم أكملت لكم دينكم ثم قال تعالى **وأتممت عليكم نعمتي**
يعني بإكمال الدين والشريعة لأنه لا نعمة أتم من الإسلام وقال ابن عباس حكم لهم بدخول الجنة
وقيل معناه أنه تعالى أنجز لهم ما وعدهم في قوله ولأتم نعمتي عليكم فكان من تمام النعمة أن دخلوا
مكة آمنين وحجوا مطمئنين لم يخالطهم أحد من المشركين **ورضيت لكم الإسلام دينا** يعني
واخترت لكم الإسلام دينا من بين الأديان وقيل معناه ورضيت لكم الإسلام لأمري والانقياد لما أعني
فيما شرعت لكم من الفرائض والأحكام والحدود ومعالم الدين فأكملته لكم وإنما قال تعالى ورضيت لكم
الإسلام دينا فيما مضى قبل نزول هذه الآية لأنه لم يزل يصرف نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه
المؤمنين من حال إلى حال وينقلهم من مرتبة إلى مرتبة أعلى منها حتى أكمل لهم شرائع الدين ومعالمه
وبلغ بهم أقصى درجاته ومراتبه ثم أنزل عليهم هذه الآية ورضيت لكم الإسلام دينا يعني بالصفة
التي هو اليوم عليها وهو نهاية الكمال وأنتم الآن عليه فالزموه ولا تفارقوه وروى البغوي

Copy … ng … sity